👑أم التفاسير👑

تفسير الطبري

رحلة في أعماق "جامع البيان عن تأول آي القرآن

عندما نتحدث عن كنوز التراث الإسلامي، لا يمكننا أن نتجاوز جبلاً شامخاً وأصلاً راسخاً في علم التفسير، ألا وهو كتاب **"جامع البيان عن تأول آي القرآن"**، الذي خلّده التاريخ باسم مؤلفه **"تفسير الطبري** ."هذا الكتاب ليس مجرد شرح لآيات القرآن، بل هو موسوعة علمية متكاملة، وسجل حافل لتراث الأمة في فهم كتاب ربها خلال القرون الثلاثة الأولى. دعونا نغوص في أعماق هذا السِفر العظيم لنكتشف أسراره.

♂️ 🧔🏻من هو العقل الجبّار وراء هذا العمل؟ الإمام الطبري

قبل أن ندخل إلى الكتاب، لا بد من معرفة صانعه. هو الإمام **أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري** (٢٢٤ - ٣١٠ هـ). لم يكن الطبري مجرد مُفسّر، بل كان:

- **مؤرخاً فذاً :**صاحب كتاب "تاريخ الرسل والملوك" (تاريخ الطبري).
- **فقيهاً مجتهداً :**كان صاحب مذهب فقهي مستقل (المذهب الجريري).
- **مُحدّثاً واسع الرواية :**حافظاً للأحاديث النبوية بأسانيدها.
- **لغوياً بارعاً :**متعمقاً في اللغة العربية والشعر الجاهلي.

هذه الشخصية الموسوعية صبّت كل علومها ومعارفها في هذا التفسير، فجاء عملاً فريداً في بابه.

✍️📖منهجية فريدة: كيف بنى الطبري صرحه التفسيري؟

يكمن سر عظمة تفسير الطبري في منهجيته العلمية الدقيقة والرصينة التي جعلته المرجع الأول. يمكن تلخيص منهجه في النقاط التالية:

.1التفسير بالمأثور هو الأساس:🧠

يُعتبر الطبري **إمام التفسير بالرواية (بالمأثور)** .فهو يفسر الآية بالاعتماد على:

- **القرآن بالقرآن :**يربط الآية بغيرها من الآيات التي توضح معناها.
- **القرآن بالسنة :**يستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالآية، ذاكراً إياها بسندها الكامل.
- **القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :**يجمع كل ما رُوي عن السلف في تفسير الآية، وهذا هو جوهر الكتاب وقوته، حيث حفظ لنا آراء ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

.2الأمانة العلمية المطلقة: ذكر الأسانيد: 📜

لا ينقل الطبري قولاً إلا ويذكر سنده الكامل إليه. هذه الميزة تجعل القارئ والباحث قادراً على الحكم على صحة الرواية من ضعفها. وكأنه يقول للقارئ: "هذا ما وصلني، ولك أن تتحقق". هذه المنهجية هي قمة الأمانة في النقل العلمي.

.3عقل الناقد: الترجيح بين الأقوال: ⚖️

الطبري ليس مجرد "جامع" للأقوال. بعد أن يسرد الروايات المختلفة في معنى الآية، يقوم بدور الناقد المحلل:

- **يعرض الآراء" :**اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية"...
- **يناقش الأدلة :**يقارن بين الأقوال مستعيناً باللغة، وقواعد النحو، وسياق الآيات.
- **يرجّح ما يراه صواباً :**يختتم بقوله "والصواب من القول في ذلك عندنا..." أو "وأولى الأقوال بالصواب..."، معللاً سبب اختياره.

.4الاهتمام باللغة والإعراب: 🗣️

يولي الطبري اللغة العربية عناية فائقة. فعند كل آية، قد تجده:

- يشرح المفردات الغريبة.
- يستشهد بأبيات من الشعر العربي القديم لتدعيم المعنى اللغوي.
- يناقش الأوجه الإعرابية المختلفة للكلمة وتأثير ذلك على التفسير.

.5الاستنباطات الفقهية: ⚖️

عند مروره بآيات الأحكام (مثل آيات الطهارة، الزواج، الميراث)، يعرض الطبري آراء الفقهاء المختلفة وأدلتهم، ثم يرجح ما يراه الأقوى دليلاً، مظهراً براعته الفقهية.

🏛️بنية الكتاب وأقسامه: رحلة منظمة مع آيات القرآن

بنية الكتاب بسيطة ومنطقية للغاية. فهو يسير مع ترتيب سور القرآن الكريم وآياته من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. عند كل آية، يتبع غالباً الترتيب التالي:

١. **ذكر الآية :**يورد الآية المراد تفسيرها.

٢. **عنوان التفسير :**يبدأ بقوله: "القول في تأول قوله تعالى."...

٣. **سرد الأقوال :**يجمع الروايات التفسيرية المختلفة بأسانيدها.

٤. **المناقشة والترجيح :**يبدأ مرحلة التحليل اللغوي والشرعي لاختيار القول الأرجح.

٥. **الفوائد والاستنباطات :**يذكر ما يمكن استخلاصه من أحكام أو دروس.

🌟لماذا يُعتبر "أم التفاسير"؟ أهمية الكتاب ومكانته

لقب "أم التفاسير" لم يأتِ من فراغ، بل لمكانة هذا الكتاب التي لا تضاهى:

- **المرجع الأول والأقدم :**هو أقدم تفسير كامل للقرآن وصل إلينا، وكل من جاء بعده من المفسرين الكبار (كابن كثير، والبغوي، والقرطبي) عالة عليه ومستفيدون منه.
- **موسوعة شاملة :**ليس كتاب تفسير فحسب، بل هو موسوعة في الحديث، والفقه، واللغة، والتاريخ، والقراءات القرآنية.
- **حافظ تراث السلف :**لولا الطبري، لضاعت آلاف الروايات التفسيرية عن الصحابة والتابعين. لقد حفظ لنا هذا الكنز العظيم.
- **إجماع العلماء على جلالته :**أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً. قال الإمام السيوطي: "وهو أجلّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين."

🔍🤔نظرة نقدية: هل هناك مآخذ على الكتاب؟

رغم جلالة قدره، وجه الباحثون بعض الملاحظات النقدية (التي لا تقلل من قيمته بل تدعو للتعامل معه بوعي):

١. **الروايات الضعيفة والإسرائيليات :**بسبب منهجه في جمع كل ما رُوي بسنده، احتوى الكتاب على بعض الروايات الضعيفة والموضوعة، وبعض القصص المأخوذة عن أهل الكتاب (الإسرائيليات). لكن الطبري بذكر السند قد أبرأ ذمته، وترك مهمة التحقيق للعلماء من بعده.
٢. **الطول والتكرار :**الكتاب ضخم جداً، وتكرار الأسانيد في كل رواية قد يجعله صعباً على القارئ غير المتخصص.
٣. **صعوبة اللغة أحياناً :**لغته علمية ورصينة، وقد تحتوي على مصطلحات قديمة تحتاج لشرح للمبتدئين.

➡️ 📚خدمة الكتاب: التحقيقات، الشروحات، والمختصرات

نظراً لأهميته القصوى، حظي تفسير الطبري بعناية فائقة من العلماء عبر العصور:

- **التحقيقات :**طُبع الكتاب عدة مرات، ولعل أشهر وأفضل طبعاته هي **طبعة دار المعارف بتحقيق العلامة محمود محمد شاكر وأخيه أحمد محمد شاكر** (رحمهما الله)، ورغم أنها لم تكتمل، إلا أنها نموذج فريد في التحقيق العلمي. وطبعة **دار هجر بتحقيق الدكتور عبد الله التركي** هي طبعة كاملة ومحققة تحقيقاً ممتازاً.
- **المختصرات :**قام عدد من العلماء باختصار الكتاب لتسهيل الاستفادة منه، وذلك بحذف الأسانيد المكررة والروايات الضعيفة.
- **الدراسات والبحوث :**كُتبت حول تفسير الطبري ومنهجه مئات الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه) والأبحاث العلمية، مما يدل على أنه نبع لا ينضب من العلم.

خاتمة: منارة لا تنطفئ💡

في الختام، يمكن القول إن "جامع البيان" للإمام الطبري ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو مشروع علمي متكامل، ومدرسة منهجية في البحث والتحقيق. إنه حجر الزاوية

في صرح مكتبة التفسير الإسلامية، وسيظل منارة يهتدي بها كل باحث عن فهم دقيق وعميق لكتاب الله، مستنداً إلى النقل الصحيح والعقل الراجح.

🔬مثال تطبيقي حيّ: كيف يحلل الإمام الطبري آية واحدة؟

لنفهم عقلية الطبري، دعونا نأخذ مثالاً عملياً ونرى كيف يتعامل مع آية وردت فيها أقوال مختلفة، مثل قوله تعالى في سورة البقرة (آية ١٠٢) :﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ...**﴾ إلى قوله :﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾.

هنا، يواجه الطبري قضية "هاروت وماروت" الشائكة. انظر كيف يبني تحليله خطوة بخطوة:

١. **جمع الروايات (مرحلة الحشد):📚**

- **القول الأول :**يورد الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين (مثل ابن عباس وابن مسعود) التي تقول إن هاروت وماروت كانا مَلَكين من السماء، أُنزلا إلى الأرض كفتنة واختبار للبشر بعد أن تعجبا من معاصي بني آدم، فوقعا هما أنفسهما في الخطيئة (القتل، الشرك، شرب الخمر) بسبب امرأة، وعُذّبا ببابل.
- **القول الثاني :**يذكر روايات أخرى تقول إنهما لم يكونا ملكين، بل كانا رجلين صالحين أو ملكين (بمعنى حاكمين) من بني إسرائيل.
- **القول الثالث :**يذكر قولاً يرى أنهما كانا من الشياطين أو الجن.

٢. **التحليل اللغوي والنحوي (مرحلة التمحيص):✍️**

- يناقش كلمة "المَلَكين" في قوله تعالى :﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾.
- يحلل القراءات القرآنية المختلفة للكلمة، مثل قراءة (المَلِكَيْن) بكسر اللام، والتي تعني "الحاكمين"، وقراءة (المَلَكَين) بفتح اللام، والتي تعني "الملائكة."
- يستعرض كيف أن القراءة المشهورة هي بفتح اللام، مما يدعم القول الأول.

٣. **المناقشة والترجيح (مرحلة الاستنتاج):⚖️**

- بعد عرض كل الأدلة، يبدأ الطبري في الترجيح.
- يرى أن ظاهر القرآن الكريم يدعم أنهما كانا مَلَكين من الملائكة، وذلك لقراءة الجمهور (بفتح اللام).
- يرد على من ينكر إمكانية وقوع الملائكة في المعصية، ويناقش أن الله قادر على كل شيء، وأن عصمة الملائكة قد تكون خاصة بمن في السماء أو من لم يقع عليهم الاختبار.
- **يختار القول الأول** ويرجحه، وهو أنهما ملكان أُنزلا فتنة، بناءً على قوة الروايات المأثورة عن السلف وظاهر النص القرآني حسب القراءة المتواترة.

هذا المثال يوضح كيف أن الطبري ليس مجرد ناقل، بل هو محقق وباحث عملاق، يجمع الأدلة، ويفحصها، ثم يبني استنتاجه الخاص.

🏛️أثر الطبري: كيف أصبح كتابه مدرسة لمن بعده؟

تفسير الطبري ليس مجرد كتاب في رفوف المكتبة، بل هو أساس بنى عليه عظماء المفسرين صروحهم. تأثيره يظهر بوضوح في:

- **تفسير ابن كثير (ت. ٧٧٤ هـ) :**يُعتبر ابن كثير التلميذ النجيب لمدرسة الطبري. اعتمد على الطبري اعتماداً كبيراً في نقل أقوال السلف، لكنه تميز عنه باختصار الأسانيد، والعناية الفائقة بنقد الروايات من الناحية الحديثية (بيان الصحيح والضعيف)، والابتعاد بشكل أكبر عن الإسرائيليليات. يمكن اعتبار تفسير ابن كثير نسخة مهذّبة ومنقّحة من تفسير الطبري من الناحية الحديثية.
- **تفسير القرطبي (ت. ٦٧١ هـ) - "الجامع لأحكام القرآن :"**أخذ القرطبي من الطبري المادة التفسيرية واللغوية، لكنه توسع بشكل هائل في الجانب الفقهي. فبينما يمر الطبري على الأحكام الفقهية ويذكر الخلاف ويرجح، يفصّل القرطبي فيها تفصيلاً دقيقاً، ويذكر أدلة كل مذهب، ويستطرد في المسائل الفقهية، حتى أصبح كتابه موسوعة في فقه القرآن.
- **تفسير البغوي (ت. ٥١٦ هـ) - "معالم التنزيل :"**سلك البغوي مسلكاً وسطاً. أخذ مادة الطبري التفسيرية، وحذف الأسانيد الطويلة، واختار أصح

الروايات، وقدم تفسيراً سهلاً ومختصراً يجمع بين الرواية والدراية، مما جعله محبوباً لدى عامة القراء وطلاب العلم.

- **تفسير السيوطي (ت. ٩١١ هـ) - "الدر المنثور في التفسير بالمأثور :"**يُعد السيوطي جامعاً كبيراً للتفسير بالمأثور. اعتمد على الطبري كمصدر أساسي، بل وزاد عليه مرويات أخرى من كتب السنة والتفسير المفقودة، لكنه يركز على جمع الروايات دون الخوض في الترجيح والتحليل كما فعل الطبري.

الخلاصة :الطبري هو **النبع**، وكل هؤلاء العمالقة هم **الأنهار** التي تفرعت منه، كلٌّ في اتجاه تخصصه.

📜 قضية الإسرائيليات: نظرة متعمقة ومُنصفة

يُنتقد الطبري أحياناً لإيراده روايات إسرائيلية (مأخوذة من مرويات أهل الكتاب). لفهم هذا الأمر بإنصاف، يجب معرفة التالي:

١. **لماذا أوردها؟**

  - **الأمانة العلمية :**منهجه هو جمع كل ما قيل في تفسير الآية، ولم يكن يريد أن يكتم علماً وصل إليه.
  - **الاستئناس لا الاعتماد :**أوردها في الغالب لتوضيح تفاصيل القصص التي أجملها القرآن (مثل قصة بقرة بني إسرائيل أو تفاصيل قصة أصحاب الكهف)، وليس في أمور العقيدة أو التشريع.
  - **الاستناد إلى الحديث النبوي :**استند إلى الحديث" :**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"**، مما يعني جواز رواية قصصهم للعظة والاعتبار ما لم تخالف شرعنا.

٢. **كيف نتعامل معها؟**

قسّم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، وهي القاعدة الذهبية للتعامل معها في تفسير الطبري وغيره:

  - **قسم يوافق شرعنا :**هذا نقبله ونرويه (مثال: تفاصيل عن صفات الله أو اليوم الآخر تتفق مع ما جاء في القرآن والسنة).
  - **قسم يخالف شرعنا :**هذا نرفضه ولا نصدقه (مثال: نسبة النقائص والخطايا الكبرى للأنبياء).

◦ **قسم مسكوت عنه :**لا يوافق ولا يخالف شرعنا (مثل تفاصيل لون كلب أصحاب الكهف أو اسم الغلام الذي قتله الخضر). هذا القسم **لا نصدقه ولا نكذبه**، ويجوز روايته للعبرة.

بهذا الفهم، ندرك أن الطبري لم يكن ساذجاً في نقله، بل كان عالماً يطبق منهجاً علمياً معروفاً في عصره، تاركاً للقارئ البصير مهمة التمييز.

🌊الغوص في محيط الطبري: أبعاد جديدة في "جامع البيان 🌊 "

لقد ألقينا نظرة على هيكل تفسير الطبري ومنهجيته، ولكن عظمة هذا العمل تتجلى في تفاصيله الدقيقة والأثر العميق الذي تركه. لنتعمق أكثر في شخصية المؤلف، ونرى منهجه على أرض الواقع، ونفهم كيف أصبح هذا الكتاب نبض علم التفسير الذي لا يزال يتردد صداه حتى اليوم.

♂️ 🧔 .1العزيمة الجبارة: قصة ولادة "جامع البيان"

لا يمكن فهم حجم الكتاب دون فهم عزيمة مؤلفه. يُروى أن الإمام الطبري قال لتلاميذه: "هل تنشطون لتفسير القرآن؟" قالوا: "كم يكون قدره؟" فقال: "ثلاثون ألف ورقة!". فقالوا: "هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه!". فاختصره إلى نحو **ثلاثة آلاف ورقة** فقط.

هذه القصة تكشف عن:

- **مشروعه الأصلي الضخم :**كان يهدف إلى جمع كل ما قيل في التفسير دون استثناء.
- **واقعيته :**عندما رأى همم تلاميذه، اختصره ليكون قابلاً للتلقي والدراسة.
- **الهمة العالية :**حتى مختصره هذا يعتبر من أضخم كتب التراث وأغزرها مادة.

أمضى الطبري **أربعين سنة** يكتب هذا التفسير، مما يدل على أنه لم يكن مجرد عمل علمي، بل كان مشروع حياة وهبه علمه ووقته وجهده.

🔬 .2تطبيق عملي: منهج الطبري في تفسير آية الكرسي (مثال توضيحي)

لنأخذ جزءاً من آية الكرسي، أعظم آية في القرآن، لنرى كيف يتعامل معها الطبري:

الآية: {ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} [البقرة: ٢٥٥]

خطوات الطبري في تفسير "القيوم:"

١. **عرض الأقوال بأسانيدها:** 📜
   - يبدأ بقوله: "وأما قوله (القيوم)، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله."
   - **القول الأول :**يروي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "القيوم: الذي لا يزول."
   - **القول الثاني :**يروي بسنده عن مجاهد بن جبر (تلميذ ابن عباس) أنه قال: "القيوم: القائم على كل شيء."
   - **القول الثالث :**يروي بسنده عن قتادة أنه قال: "القيوم: القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم."
   - **القول الرابع :**يروي عن الربيع بن أنس أنه قال: "القيوم: قيّم كل شيء، يكلؤه ويرزقه ويدبره."

٢. **التحليل اللغوي:** 🗣️
   - يقول إن "القيوم" على وزن "فيعول" من "قام يقوم."
   - يشرح أن هذه الصيغة في اللغة العربية (فيعول) تدل على المبالغة والدوام، مثل "حيّوم" و "ديّوم."
   - يستنتج لغوياً أن المعنى يدور حول دوام القيام بالأمر وإتقانه وتدبيره بشكل كامل.

٣. **الترجيح والاختيار:** ⚖️
   - بعد عرض الأقوال والتحليل اللغوي، يبدأ مرحلة الترجيح بقوله" :**وأولى هذه التأويلات بتأويل الكلمة."...**
   - يرى أن معنى "القائم على كل شيء" (قول مجاهد) و"قيّم كل شيء" (قول الربيع) هو **الأصح والأشمل**.

- **لماذا؟** لأنه يرى أن الله إذا كان قيّماً على كل شيء، فهذا يتضمن بالضرورة أنه قائم بنفسه، وأنه يدبر أرزاق الخلق وآجالهم وأعمالهم (كما في الأقوال الأخرى). فالمعنى الأشمل يجمع بقية المعاني تحته.

هذا المثال البسيط يوضح كيف أن الطبري لا يترك القارئ في حيرة، بل يأخذ بيده عبر رحلة علمية من النقل إلى التحليل ثم إلى الاستنتاج الراجح.

🌐 .3الأثر الخالد: كيف شكّل الطبري علم التفسير بعده؟

تأثير تفسير الطبري لم يكن عادياً، بل كان تأسيسياً. كل من جاء بعده كان إما:

- **شارحاً ومختصراً له :**مثل **ابن كثير** في "تفسير القرآن العظيم"، الذي يعتمد بشكل هائل على روايات الطبري، لكنه يختصر الأسانيد ويركز على ترجيحاته ويعلق على الروايات صحة وضعفاً. كثيراً ما يبدأ ابن كثير بقوله: "وقد ذكر الإمام ابن جرير..." أو "قال ابن جرير."...
- **موسعاً في جانب أهمله الطبري :**مثل **القرطبي** في "الجامع لأحكام القرآن"، الذي أخذ المادة التفسيرية من الطبري، ولكنه توسع بشكل هائل في استنباط الأحكام الفقهية ومناقشة مذاهب الفقهاء، وهو جانب لم يكن الأولوية عند الطبري.
- **ناقلاً عنه ومعتمداً عليه :**يكاد لا يوجد تفسير معتبر بالمأثور أو حتى بالرأي إلا وتجد فيه بصمات واضحة من "جامع البيان."

لقد وضع الطبري **"المادة الخام "**لعلم التفسير، وفتح الباب واسعاً لمن بعده ليبنوا عليها ويضيفوا إليها.

🧭 .4دليل المبتدئ: كيف تقرأ تفسير الطبري اليوم؟

قد يكون حجم الكتاب وهيكله مخيفاً للقارئ المعاصر. إليك دليل عملي للاستفادة منه:

- **للقارئ العام :**لا تحاول قراءته من الجلدة إلى الجلدة. استخدمه ك **"مرجع ."**عندما تستشكل عليك آية، ارجع إليه لترى أقوال السلف فيها. اقرأ فقط مقدمة الطبري ثم الجزء المتعلق بالآية التي تبحث عنها.

- **لطالب العلم المبتدئ :**ابدأ بـ **مختصرات التفسير** أو التفاسير التي اعتمدت عليه مثل تفسير ابن كثير. بعد أن تتكون لديك قاعدة معرفية، يمكنك العودة إلى الأصل (تفسير الطبري) لترى الروايات بأسانيدها وتفهم كيف تم بناء تلك الترجيحات.
- **للباحث المتخصص :**يجب عليك الاعتماد على أفضل الطبعات المحققة، مثل **طبعة دار هجر بتحقيق د. عبد الله التركي** (لأنها كاملة ومفهرسة جيداً) أو **طبعة دار المعارف بتحقيق محمود شاكر** (لأنها نموذج في دقة التحقيق والتعليق). تعلّم أساسيات علم الحديث والجرح والتعديل لتتمكن من تقييم الأسانيد التي يذكرها.

خلاصة إضافية: قيمة لا تقدر بثمن ✨

تفسير الطبري ليس مجرد كتاب، بل هو **"أرشيف العقل المسلم الأول "**في فهمه للقرآن. إنه الجسر الذي يربطنا مباشرة بعصر الصحابة والتابعين، ويسمح لنا بأن "نسمع" أصواتهم ونرى كيف تفاعلوا مع الوحي الإلهي. قراءته ليست مجرد تلقي للمعلومات، بل هي رحلة عبر الزمن، وتجربة فكرية وروحية فريدة من نوعها.

"جامع البيان عن تأول آي القرآن"، المعروف بـ **"تفسير الطبري"**، هو أحد أهم وأشهر كتب تفسير القرآن الكريم على الإطلاق، ويُعتبر مرجعاً أساسياً في هذا العلم حتى يومنا هذا.

إليك عرض شامل ومفصل لهذا العمل الموسوعي:

اسم الكتاب الكامل والمؤلف

- **الكتاب :**جامع البيان عن تأول آي القرآن.
- **المؤلف :**الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المولود سنة ٢٢٤ هـ - المتوفى سنة ٣١٠ هـ). وهو مؤرخ ومُفسّر وفقيه ومحدّث، يُعتبر من أبرز علماء الأمة الإسلامية.

مكانة الكتاب وأهميته

يُلقب تفسير الطبري بـ **"أم التفاسير "**أو **"أبو التفاسير"**، وذلك لعدة أسباب:

١. **الأقدمية والشمول :**هو أقدم تفسير كامل للقرآن الكريم وصل إلينا، وهو أشملها في جمع أقوال السلف من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين في تفسير الآيات.

٢. **المرجع الأساسي :**يُعد المصدر الأول والمرجع الأهم لجميع كتب التفسير التي جاءت بعده، مثل تفسير ابن كثير، والقرطبي، والبغوي، وغيرهم الكثير.

٣. **الموسوعية :**لم يقتصر الإمام الطبري على التفسير فقط، بل جمع فيه علوماً شتى كاللغة، والنحو، والفقه، والقراءات، والتاريخ.

٤. **الثناء العلمي :**أجمعت الأمة على جلالة هذا التفسير. قال الإمام النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري"، وقال السيوطي: "وهو أجلُّ التفاسير وأعظمها."

منهج الإمام الطبري في التفسير

يُعتبر تفسير الطبري رائداً في **"التفسير بالمأثور "**(أي التفسير بالرواية والنقل). ويقوم منهجه على الأسس التالية:

١. **تفسير القرآن بالقرآن :**إذا كانت هناك آية أخرى في القرآن توضح معنى الآية التي يفسرها، فإنه يذكرها أولاً.

٢. **تفسير القرآن بالسنة :**يستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في تفسير الآية، ويذكرها بسنده الكامل.

٣. **الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين :**يجمع كل ما ورد عن السلف الصالح في معنى الآية، ويذكر أقوالهم بأسانيدها المتصلة إليهم. وهذا يُعد من أعظم ميزات الكتاب، حيث حفظ لنا آراء المفسرين الأوائل.

٤. **ذكر الأسانيد :**لا يكتفي الطبري بذكر القول، بل يذكر السند الكامل لكل رواية، مما يسمح للعلماء والباحثين من بعده بالحكم على صحة الرواية أو ضعفها. وهذا قمة الأمانة العلمية.

٥. **الترجيح بين الأقوال :**بعد أن يسرد جميع الأقوال والروايات المختلفة في تفسير الآية، لا يترك القارئ حائراً، بل يقوم بالترجيح بينها، فيختار القول الذي يراه الأصح والأقوى دليلاً، ويعلل سبب اختياره، مستعيناً باللغة العربية وقواعدها وأدلة الشرع.

٦. **الاهتمام باللغة والنحو :**يولي اهتماماً كبيراً بالجانب اللغوي، فيشرح المفردات الغريبة، ويناقش الأوجه الإعرابية المختلفة للكلمات وتأثير ذلك على المعنى، وكثيراً ما يستشهد بأشعار العرب القديمة.

٧. **استنباط الأحكام الفقهية :**عند مروره بآيات الأحكام، يذكر آراء الفقهاء المختلفة ويناقش أدلتهم، ثم يرجح ما يراه صواباً، حيث كان الطبري نفسه صاحب مذهب فقهي مستقل (المذهب الجريري) وإن لم يكتب له الانتشار.

مميزات الكتاب

- **الشمولية والموسوعية :**جمع بين دفتيه تراث التفسير في القرون الثلاثة الأولى.
- **الأمانة العلمية :**ذكر الروايات بأسانيدها كاملة.
- **الموضوعية :**يعرض الآراء المختلفة قبل أن يرجح بينها.
- **العمق التحليلي :**لا يكتفي بالنقل، بل يناقش ويرجح ويوجه.

ملاحظات على الكتاب

على الرغم من مكانته العظيمة، يلاحظ الباحثون فيه بعض الأمور التي يجب التنبه لها:

- **الروايات الضعيفة والإسرائيليات :**بسبب منهجه القائم على جمع كل ما وصل إليه بسنده، فقد ضمّن كتابه بعض الروايات الضعيفة أو الموضوعة، وكذلك بعض الإسرائيليات (الروايات المأخوذة عن أهل الكتاب). لكنه بذكر السند قد أبرأ ذمته، وكأنه يقول: "من أسند لك فقد أحالك"، أي أنه ترك مهمة الحكم على السند للباحث المتخصص.
- **الحجم الكبير :**الكتاب ضخم جداً ويقع في مجلدات كثيرة، مما قد يجعل قراءته كاملة أمراً شاقاً على غير المتخصصين.

الخلاصة

تفسير الطبري "جامع البيان "ليس مجرد كتاب تفسير، بل هو موسوعة علمية متكاملة، ومشروع فكري ضخم حفظ للأمة تراثها التفسيري الأول. وهو يبقى إلى يومنا هذا مرجعاً لا غنى عنه لكل طالب علم وباحث في علوم القرآن والشريعة.